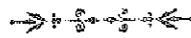


اعرضوا عن حكمك الموافق له ثانياً. او النفي لصفة الايمان عنهم بالاطلاق
فيدخل فيها ما ذكر ويدخل فيها الايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم وما جاء
به اي انهم فسدت نفوسهم وبطلت ثقتهم بالدين مطلقاً حتى لا يرجي
منهم ابداً.

وظاهر ان القول بوجود حكم لله أو احكام متعددة في كتاب
لا يقتضي ان يكون ذلك الكتاب كله صحيحاً سالماً من التعريف مشتلاً
على جميع ما انزله الله تعالى. فاني اقول ان كتاب السيرة الحلبية مثلاً فيه
حكم الله ولا اعتقد ان كل ما فيه من الله تعالى وانه سالم من التعريف
ولا حاجة لنيره بل اعتقد مع هذا ان فيه اقوالاً اجتهادية وأراء للمؤلف
ونقولاً لا تصح واننا في حاجة الى غيره (يتصل الكلام)



باب التعليم والتعلم

(تعليم القراءة والخط والرسم ^(١))

(المكتوب ٣١) من هيلانه الى اراسم في ١٥ مارس سنة ١٨٥٠
لما يتعلم « أميل » القراءة ولا يكاد يعرف حروف الهجاء وربما
كنت أنا المألومة على ذلك لأنني لم احثه على التعلم الا قليلاً. ذلك أنني لا
أنفك أذكر تلك النضاضة والكرهية للتعليم الاول وما سببه على ما أرى
الا الإكراه عليه وهضم ما يجب لطفل صغيرة مثلي من حق الحرية

(١) معرب كتاب أميل القرن التاسع عشر في التربية والتعليم

والاختيار . وارى ان حملي « أميل » على التعلم لان غيره يتعلم كما كان يقال لي جناية عليه لان عاقبة هذه الحجة ان تطبع الناشئ على التقليد الاعمى والاقتداء بالناس في جميع عاداتهم من غير تفرقة بين الحسن والتبجح . لم نختار ركوب الصعب في هذا السبيل ولدينا المركب الذلول وهو حمل الطفل على التعلم بالتشويق والتشويه بما في المطالعة من اللذة فقد يستغني الانسان عن الاشياء التي يجمل فوائدها ووزاياها

أنا جاهدة في تلمس الوسيلة التي تنبه اشتياق « أميل » الى الحروف المطبوعة وتبعث فيه الميل الى معرفتها . واذا علم ان القمصن العجيبة والاساطير الغريبة التي افكدهم بملحها وافاكيها كلها مأخوذة من الكتب فلم لا يجذبه الميل وتحمله الرغبة على ان يأخذ تلك الحكايات من مصادرها ويستخرجها من ينابيعها بنفسه في يوم من الايام ؛ واذا تولدت فيه هذه الرغبة يوماً ما فكل ما بعدها يتبعها من نفسه وانني لا افتأ انتظر تولدها وانباتها الحسن فيه وقد طال تأخرها

لقد صارت القراءة لنا حاسة سادسة بما رسخت ملكتها فينا ومع هذا لم نخط خيراً بالمقبات التي تحول دون وصول الطفل الى معرفة الحروف الهجائية بسهولة . انا باحثة عما عساه يكون منشأ هذه المقبات الثابتة الراسخة ويشق علي الوقوف عليه . فليت شعري أليس هو ما به الفرق بين علم القراءة والكتابة وبين سائر العلوم فاننا نرى هذه العلوم يساعد بعضها على معرفة بعض ويعد متعلم احدها ويؤهله لفهم الآخر اذا هو انتقل اليه لما بينها من الصلة واتحاد طرق الدلالة ونرى علم القراءة والكتابة بخلافها نرى انه لا صلة بين الاشياء وبين هذه الاشكال والرسوم

الصناعية التي وضعت للدلالة عليها فاذا انتقل المتعلم من مسيات الاشياء الى اسمائها المرسومة في الورق ينقطع الاتصال به فجأة . لا يصعب على « أميل » ان يميز فيما يراه من صور الاشخاص المرسومة وجوه أصحابها اذا كان رآها لان الشكل في الصورة والمصور يكاد يكون واحداً فأما الاسم المكتوب فانه لا يمثل له شخص المسمى بحال من الاحوال . فهل توجد طريقة لربط هذين النوعين من الاشياء في فكره واعني بهما الرسم والكتابة ؟ هذا امر يطلب منك

أنا اكلّم « أميل » بالفرنسوية وهو يتكلم مع أهل كورنووي بالانكليزية فهو بهذه الطريقة يتعلم لغتين من اللغات المصرية بلا مشقة بل لا حرج عليّ اذا قلت بلا شعور منه بذلك . الا انه يظط فيهما قطعاً غريباً فيمزج احياناً بمضهما ببعض مزجاً يكون من أشد الاضاحيك استضعافاً . مثل لنفسك غلاماً يقول مخبراً لك بأنه يريد الخروج " Je voudrais to go out ؟ " الست تقرب لهذا الخلط ضحكاً ؟ .

لا غمرو فما كان تكوّن اللغات المختلطة فيما سبق الا في مثل هذه الحالة وهي تجاور جنين تمايزين واختلاطهما زمنياً في مكان واحد . أما اعتقد اني أعلم « أميل » وهو في الحقيقة معلني لانه قد فتح عيني وهداني الى عدة مسائل ذهب تعبي في البحث عن حلها في الكتب سدى . وليت شعري هل تصدقني اذا قلت لك انه يعلمني التاريخ

يعرف « أميل » الرسم والتصوير وان كان لما يعرف القراءة والكتابة فهل وُلد مصوراً ورساماً ؟ لا أنكر ان النظر الى خرابيشه^(١) يضمف

(١) جمع خرابش أو خربوش وهي الخطوط الفاسدة غيرالمتظمة ويقال خربش الخط

هذا الاعتماد او يذهب به بعيداً ولكنها على كل حال صور آدميين وحيوانات ومساكن وغير ذلك . ولا يكتفي بأن يحاكي بالقلم المادي أو الرصاصي شكل ما يقع عليه بصره بحسب ما يتفق له بل أراه يحاول التعبير عما في نفسه من الوجدانات وما في فكره من الحكايات بما يرسمه على هذه الاوراق من خرايش الخطوط والصور . انظر كيف حاول ان يكتب اليك مكتوباً — استغفر الله قداخطأت في كلمة يكتب وكلمة مكتوب وكان ينبغي ان أقول : يرسم لك خطأً برَبائياً^(١) واني لاخشى ان يصيب عليك فهم الرسم الذي يرسله اليك فأرجو ان اكون انا في هذه الدفعة شامبوليون هذا الرسم^(٢) فأقول :

« تربية احساس الشفقة والرحمة وحادة غرق »

يمثل لك الرسم ريجاً عصفوفاً هبت لليلتين من شهر ابريل وظلت تصف الى الليلة الثالثة منه وليس هذا مما يحصل هنا نادراً والله بيوتنا فانها مبنية بالصوان (وهو الحجر الكثير في الضواحي) ولولا ذلك لتداعت اولدكت بقوة العواصف والأعاصير الشديدة التي تضطرب لها هنا السماء والأرض والماء على ان البحر لم يُرَ منذ سنين يمثل هذا الاضطراب الذي احدهته هذه العاصفة ولا نجد الواصف لهذه الحالة وصفاً الا ان يقول ان حجاب الروع والفرع قد أسدل على هذا الكون الذي لا نهاية له لا يسمع من لفظ الناس المشؤم في هذه الحال الا اخبار الفرق

(١) البربائى الخط الذي يوجد على جدران البرابي وهي هياكل ومعابد معروفة

في مصر (٢) شامبوليون هو اول من حل الخط البربائى والمهروغابنى بقراءة حجر

والفرق تتردد من ساحل الى ساحل ولم يكن لخرآء السواحل يومئذ ثم
منذ طلع الصباح الا مراقبة البحر الهاجج بمنظيرهم المقربة للبيد بصوبونها
الى الافق من على تلك الصخور الوعرة المحيطة بالخليج وكانوا لا يكادون
يرون في ضوء ذلك الصباح الملون مخضرة البحر الحوآء (الضاربة الى
سواد) على أن اشمة ابصارهم قد خرقت تلك الحجب الجوية وعلم الناس
أنهم ميزوا من وراء تلك الامواج المتراكبة المصطنجة سواد سفينة على
بعد قد وقعت في شعب مخيف فانكسر صارها الأكبر وتحطمت جوانبها
فستطت تضطرب كحوت اصيب بجروح عظيمة فصار يتقلب على جنبه
وكان مما يشير نأثر الخوف ان تلك الامواج التي تهيجها العواصف فتعلو
فجأة كالجبال كانت تتلاعب بتلك السفينة فتقذفها آناً بعد أن بتلك الصخور
الصم . وصار يتسنى للانسان في ذلك الجو المطبق المهن ان يميز في ضوءه
السنجاني اللون ايدي الناس في السفينة تحرك قطعاً من الشراع
لم يكن للناس حينئذ من امنية الا نجاة هؤلاء الفرقى على أنهم لم
يكونوا يجهلون سموية اتقادهم وتسره . نعم ان اهل كورنواي اولو شجاعة
ونجدة ولكنهم مع ذلك اصحاب حذر وفطنة . هدأت الريح قليلاً بعد
شروق الشمس كامدة شاحبة والبحر ما زال متهدأياً في طغيانه ، مصراً
على عدوانه ، فكان يخيل لرائيه يتحرك بنفسه أنه اخذته حى نافض من
القاصف فاحدث فيه هذه القوة الموجبة في الرعدة والاضطراب . وكان
بعض الصيادين الحنكين يرمون ابصارهم الى الامواج يتبعون حركاتها
باعينهم المدربة ثم ينفضون رؤسهم وتلو وجوههم كآبة اليأس وكان
لسان حالهم يقول لا حول لنا ولا قوة على اتقاد هؤلاء المساكين

أتى على الناس نحو نصف ساعة يتراوحون بين اليأس والرجاء كان
كنصف قرن . ذاك انهم كانوا يرون بعض اخوانهم بين مخلب الموت
ونابه وهم يرجون منهم النجدة ولكنهم لا يجدون لانجادهم سييلا .
وبيناهم في هذه الحالة اذا بزورق النجاة قد أحضر فصاح الناس صيحة
واحدة كانت منبثة عن جميع الصدور وهذا الزورق بيده الملاحون
للدواهي الكبيرة وقد احضر بقوة السواعد والحيول ووضع في مكان من
الساحل يرجي منه الوصول الى العرقى وما عثم ان امتلاً بالناس على وهنه
وخفته وعظم الخطر في ركوبه وقد تحمل (قوييدون) الذي تطوع في هذه
الخدمة منذ سنتين او ثلاث كل مشقة في الذود عن مكانه وحفظ مجدافه
وكان الذين ركبوا الزورق يحسدونه على شرف التعرض لمخاطل المحيط
ونفاخه وما نجح في ذوده ودفاعه هذا الا بقوة حقوقه المكتسبة بسابق
هذه الخدمة . أنزل الزورق في البحر وانحنى المجدفون الجريؤون على مقاعد
تملو نصفها الامواج واوتلوا في البحر وكان « اميل » على ما ارى يأسف
انه لم يكن له من السن والقوة ما يؤهله لمساهمة رفيقه قوييدون في هذه
السياحة الدالة على جراءة الجنان ، وشرف الوجدان ، واره قد اكتسب
في هذا المشهد من المبرة باخلاص المخلصين ، والأسوة باحسان المحسنين ،
ما لا ابيح لنفسي التعبير عنه بالكلام ، ومحاولة شرحه بفصاحة البيان ،
لثلا اضيف من قوته ، واشوه من صورته ، فان حضور المشاهد المنظمة ،
ورؤية الأخطار الكبيرة ، تعلمنا بغير كلام ، وتربينا بدون إزام ،
غاب الزورق ساعات والناس في قلق مبيت واذا بصائح يصبح
« ما هو ذا راجع » وكان يقترب من الشاطي حقاً والناس في ريب من

نجاحه وما كان اشد شجاعته في مساورة غضب الامواج الثائرة !! أنا لا اشك في أنك تعرف ما تأتي به صناعة الملاحة من هذه العجائب وتلك الزوارق المنشأة من الهواء والبلوط التي هي في الخفة كالريشة وفي القوة والمتانة كما يجب الخير ويرضى . كان يخيل للرأي في كل لحظة ان القواعل الجوية المصطخبة ستبلغ بقوتها هذه الصدفة الخشبية التي تطاولت بجرياتها الى منازعة البحر في غنيمته ولكنها تطاولت فطالت وحاربت فظفرت فكان هذا الزورق كان انساناً يسبح وقد اعطته جنبة طاسمها لبتقي به مفرعات النوء . وما كان ابداع منظر رجاله والماء يتدفق من فوق قلائسهم المشمعة وثيابهم الزينة وهم راجعون اعزاء ظافرين وان كان الموج نال منهم وترك اجسامهم كاجسام الضفادع ونحوها من حيوان الماء وقذف بهم أحياناً في مهاوي عميقة كبطون الاودية وطفر بهم اخرى الى قنن عالية كضفاف الجبال يظهرون بها للأبصار في ضوء الشمس السقيم ولو انه نزع مجاديفهم من ايديهم لبادروا لاسترجاعها بقوة ، كما يأخذ الشجاع سلاحه من عدوه

صاح قوم من الملاحين كانوا على صخرة قائلين « نجوا »

فلما سمعت هذا الصياح شخصت بصري الى الزورق الذي كان يدنو من الشاطئ دنواً غير محسوس وانشأنا نميز بين رجال الزورق ثلاثة من الفرقى شاحبي اللون شحوباً مفرعاً وفتاة صغيرة ليس فيها ادنى علامة على الحياة

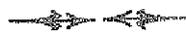
وصل الزورق بمشقة شديدة ورسا في مرسي من المراسي المحمية بالخليج فلم البث ان تلقفت بعض التفصيل عن حادثة الفرقى فقامت أن

اتخاذ الفرقى كان عسراً خطراً وانهم لقوا الألقى الشديدة ويظن أنهم
 أتوا ليتين على الطوى . وقد وجدوا مششين كالطير البحري حول
 بقايا ادوات السفينة التي لم يدصرها البحر كلها تدميراً . ولا شك أنهم لما
 صاروا عرضة لجميع شدائد الجوّ تسلقوا هذا الموضع المخرج عند اغتيال
 الأمواج سطح المركب وثبتوا فيه بخوارق الشجاعة وقد تمب منقذوهم
 في تخليص الجبال من ايديهم التي أيبسها البرد وكانوا عاجزين حتى بعد
 نجاتهم عن مدافعة الناس الذي اسرنداهم ودفع النوم الذي اناخ عليهم
 بكلاكله

كان الناس يتساءلون: من هم ومن أين أتوا؛ ومما كان يزيد في سوء
 حالهم أنهم ما كانوا يجيرون جواباً، لأنهم لا يفهمون خطاباً، فحسبت أنهم
 يعرفون غير الانكليزية فخطبتهم بالفرنسوية وبالالمانية بل استنفدت جميع
 ما اعرف من اللغات فلم أر في وجوههم اشارة على فهم شيء منها . وكان
 في الميناء بعض الملاحين الروسين واليونانيين والزوجيين فلم يكونوا أسعد
 حظاً مني في مخاطبتهم . تجلت هذه الحادثة بشكل الأمور الغريبة فكان
 هؤلاء الفرقى في نظر الناس أموات بعثوا ولم يعرفوا لغات الاحياء
 وأما الفتاة الصغيرة التي يظهر انها بنت خمس فكانت نجاتها كمعجزة
 من المعجزات وكانت ابصار الملاحين قد زاعت دونها ولم تهتد في
 الضباب الذي اثارته الامواج اليها ولكن قوبيدون لمح بينه التي تحاكي
 عين القهد شبه كتلة معلقة في بقايا ادوات السفينة وخاطر بنفسه في
 التسلق لاكتشافها أشد المخاطرة فالتقاها بنتاً قد لقت في نسيج ولبوس
 وعلقت على ارتفاع عشرين قدماً وسط الجبال المتقطعة . وكانت منفي

عليها من البرد والجوع والخوف فاخذها والقاهها في الزورق فظلت في غيبة ناسها كذلك الطائر البحري الذي يرى متخدراً طافياً على سطح المحيط أدرك هؤلاء الفرقى في الوقت الذي يجب انقاذهم فيه اذ لم يمض على ذلك بضع ساعات حتى هاج البحر هيجة حطمت بقايا السفينة وبددت الواحها تبديداً . وكانت القرائن تدل على انه لم ينبج من ركابها الا هؤلاء اخذ الفرقى الى ملجأ الملاحين ليساعدوا على ضعفهم وطلبت ان تضم البنت اليّ والفضل كله في هذا البر لا خلاص قو ييدون . ليت شعري من أي البلاد هي ؟ ان ملامح وجهها وشعورها الخالكة وجلدها الذهبي تدل على انها من البلاد الجنوبية . هل هي يتيمة ؟ وهل غرق أبواها ؟ ومن هو صاحب اليد التي علقها في بقايا الصاري ؟ تلك اسرار محجوبة عني ولكن الظاهر انها ليست لاحد الذين نجوا من الفرقى . ولا بد ان تقف قريباً على خبر السفينة ومن فيها وسأكتب اليك بما اعلمه من ذلك واستودعك الله قائلة : ان من حبك ان اتأثر بمصائب الناس واهتز لها

(حاشية) عرف اسم السفينة وهو (ايا كوكو) وغرقها من البروفيين الذين يتكلمون بالاسبانية غير الصحيحة هذا كل ما علم الى الآن عن هذه الحادثة البحرية المحزنة



(ريشة صادق) نذكر هنا بمناسبة كون هذه الرسالة في موضوع تعليم الخط والرسم ما نوهت به الجرائد اليومية من اختراع خليل بك صادق صاحب مكتبة ومطبعة الشعب ريشة للكتابة تفضل امثالها بخصائص منها انها تكتب عدة أسطر بنمسة واحدة في الحبر وقد اقبل الناس عليها كثيراً